

الفتاة

الجزء الثاني من السنة الأولى

فى ١ يناير سنة ١٨٩٣

موافق ١٣ جماد ثانى سنة ١٣١٠

شكرٌ وثناءٌ

سرايها اليراع على مبداك بسم الله مجراك ولا تياسن، ولك فى وادى النيل أعوانٌ وأنصارٌ، ولا تجف مداداً والباب أرباب الفضل ابحارٌ وأنهارٌ، وإياك أن تجزع أيها القرطاس إذا اسود محياك بخضاب المداد، فإنه يزيدك انتشاراً فى البلاد وإجلالاً بين العباد، فتصبح للمعارف أميئاً مختاراً وللأبياء رسولاً سياراً، وافرحى يا نفس واشكرى نعم العلم والمعارف، وترنمى برواجهما فى أندية نصيرات الأداب وسيدات اللطائف وحسبك برهاناً قاطعاً ودليلاً ساطعاً ما كان لفتاتك بينهن من الإعزاز والترحاب والاستحسان والإطناب، فضلاً عن القبول والإقبال من أسياد اشتهروا بعميم الأفضال وأمجادٍ ضربت بأدابهم الأمثال لا سيما أصحاب الجرائد العربية وأرباب الصحف الأجنبية الوطنية الذين قابلوا الفتاة بالنفثات، وألبسوها من درر المقالات وجواهر الشذرات ما تفتخر بحلاها وجليتها مدى الحياة.

ومما يزيد فتاتنا إقداماً على استمرار مشروعها ودوام السير على تأييد مبادها وموضوعها، ما صادفته من معاضدة ألباء هذا القطر ومساعدة نبلاء هذا العصر بقبولهم عداد عددها الأول، واستحسانهم منهاجه الذى بإذن الله لا يتغير ولا يتحول فنسدى الجنسین خالص الشكر والثناء، ونهدى الفريقيين عاطر الحمد والإطراء ونسألها إغضاء الطرف عما يتخلل أجزاء الفتاة من الأعلاط والهفوات لأن العصمة

للواحد المتعال، وهو المسئول أن يؤيد ويؤيد سرير دولتنا العلية مدى الدوران، وأن يديم بقاء سيدنا ومولانا السلطان عبدالحميد خان شمساً تستمد من نوره البدور، وأن يحفظ لنا خديويتنا «عباس حلمى الثانى» المعظم بحراً يفيض بفضلته على البحور أمين أمين.

«هند»

فريضة التهاني

نتقدم بواجب التبريك والتهانى لعموم الطوائف المسيحية الغربية فى حلول عام ١٨٩٣، ونطلب من الله أن يجعل أيامه شمساً ساطعة بأنوار المسرات ومناهل خيراته دافقة بعظيم البركات ولواء سلامه خافقاً فوق الكائنات، ونجمه فى أفق الفضائل لامعاً وبدره فى سماء التمدن طالعاً وروضه بأزهار العلم يانعاً.

«هند»

كاترينا الأولى إمبراطورة روسيا

نقلًا عن كتاب معرض الحسناء فى تراجم مشاهير النساء تأليف الطيبة الذكر المرحومة والدتنا مريم نوفل.

هى ابنة أحد الفقراء من إقليم إستونيا من قرية رنجان، ولدت سنة ١٦٨٤ وقيل ١٦٨٩ للميلاد واسمها مرتا.

قيل أن أباهما كان من وجوه لوثيانيا، وقتل فى حروب مملكة بولونيا، وخلف ولداً اسمه كارلوس اسكادرونسكى، ولما توفى كانت ابنته فى المهده، فلم يتعهد تربيتها وتأديبها أحد بل نشأت مع أخيها لا يعرفان من التربية إلا ما يعرفه الإنسان من حيث

الغزيرية وكانا فى زوايا الإهمال إلى أن فارق اسكادرونسكى شقيقته، وهو صغير السن فخدمت مرتا عند قسيس بروتستانتى يقال له غلاك فى مدينة مريانبورغ، وبعد أن لبثت عنده أربع سنوات تزوجت بجندى اسوجى من إقليم لونيا، وفى صباح عرسها أو ثانى يوم منه هزم الروس شيرزما من عساكر الأسوجيين كان زوجها فى جملتهم، فلم تقف له بعد ذلك على خبر، وفى غرة شهر كانون الأول (جنابو) سنة ١٧٠١، وقيل فى ١٩ تموز (يوليو) سنة ١٧٠٢ تغلب الماريشال شرمتوف على مارينبورغ، فأحرق إذ ذاك الأسوجيين مخازنها فحرق الروس من هذا الفعل واعتاظوا فهدموها، وأسروا أهلها عن آخرهم، وكان من جملة الأسرى هذه السببية أى مرتا التى أصبحت فيما بعد امبراطورة الروس، وقد أسرها الجنرال بوير «وقيل الجنرال منزيقوف»، فخدمت عند الأول ثم انتقلت لخدمة السر عسكر كزرومتوف ثم الجنرال منزيقوف، وعنده رآها الإمبراطور بطرس الأكبر ابن الكسيس مخائيل رومانوف فأحبها وتزوج بها سرّاً سنة ١٧٠٧، ولها من العمر ١٨ سنة ورزق منها ابنته الأميرة حنة.

وفى ١٨ شباط سنة ١٧١٢ شهر بطرس زواجه بها، ونودى علناً فى مدينة بطرسبرج بأنها ملكة الموسقو، وذلك بعد أن تركت المذهب البروتستانتى وتمذهبت بالمذهب الروسى وعمدوها ثانيةً وبدلوا اسمها بكاترينا، وكانت هذه الفتاة عالية الهمم حسنة الخلق والخلق، فاكسبت بذلك الحظوة والقبول عند بطرس الأكبر حتى إنه كان لا يقوى على مفارقتها ويستصحبها فى أكثر أسفاره وأعماله الشاقة، فكانت تقاسمه الأهوال والأتعاب، وهى لا تميل إلى الرفاهية والتنعم كغيرها من النساء اللائى يتخذن ذلك ديدناً لهنّ، وكانت تحسن مداراة الإمبراطور فتحمد نيرانه بملاطفتها إذا غضب أو حنق ولا تعارضه، فتزيده جفوةً وقسوةً بل تساجله فتسترقه حتى قيل أنها حسنت أخلاقه تحسناً، وبقي زواج الإمبراطور بكاترينا «عام ١٧٠٧» مكتوماً إلى يوم سفره فى حرب الدولة العثمانية، فإن السلطان أحمد الثالث شهر الحرب على الروس فى

أوائل شهر أغسطس (آب) سنة ١٧١١، فاضطر بطرس الأكبر أن يختار نهر الدنيير لكنه خشى على كاترينا أن تلم بها الأخطار، فحار في أمره إلا أن كاترينا ألحت عليه بأن يستصحبها إلى ميدان القتال، وأعلنت له أنها لا تقوى على مفارقتها فلم يخالفها فيما شأعت وسارت برفقته تتقدم الجيش على متن جواد مطهم وتخفق على رأسها الرايات وعلى وجهها لوائح المسرة، وكانت الدولة العثمانية عهدت أمر هذه الحرب إلى وزيرها الأول محمد بلطه جى باشا، وأرسلته في ٢٥٠ ألف مقاتل فانتشب القتال على نهر البروث، واستظهرت العساكر العثمانية فتضعضع الروس وانقطع عنهم المدد وهلكت خيولهم ونفذت عندهم الذخائر والميرة، وتقهقرت جنودهم وكانوا زهاء الأربعين ألفاً فيئس بطرس الأكبر وحل به الاضطراب واللبال فعاوده تشنج الأعصاب، وهو داء متمكن فيه فدخل خيامه وأمر أن لا يدخل عليه أحد أما كاترين فلم تصغ لهذا التنبيه بل دخلت مضربه بالرغم من الحجاب، وهي محاذرة غضبه فسرّ بها الإمبراطور لا سيما لعلمه بما كانت تبديه في القتال من الشهامة والبسالة، فإنها كانت تحيي الليل على ظهر جوادها تطوف بين الجنود تقويهم وتصبرهم وتعود المرضى والجرحى وتحسن إليهم، وبعد أن لاطفته حتى خففت همومه وأشجانه رخص لها أن تتعاطى أمر الصلح وتتمه على ما يحسن لها، فخرجت من بين يديه مسرورة بما كان وعمدت إلى أنفذ الوسائط التي يمكن استخدامها في الشرق للحصول على القصد، فجمعت ما كان لديها من الجواهر الثمينة وأرسلتها إلى الوزير بلطه جى باشا، وأمرت المارشال شرمتوف أن يكتب إليه بطلب الصلح، وانتخب لهذه الرسالة ضابطاً ممن عهدت بهم الدراية والذكاء واثنين من الجند ودفعت إليهم جانباً من المال يؤدونه إلى كتخدا البلطه جى، وكان ذلك في ٢١ تموز (يوليو) سنة ١٧١١، فقبل محمد بلطه جى باشا رسالة المارشال وهدية الملكة ورفع رؤية الصلح، وحرر شروطه وبعث بها إلى الحضرة السلطانية فصدقت عليها وكان فيها ختام تلك الحروب.

ثم لما كانت سنة ١٧١٤ ونجح بطرس الأكبر في حربه مع الأسوجيين، وعاد إلى بلاده ظافراً وولدت كاترينا بنتاً «لم تعش إلا سنة واحدة» أحدثت الإمبراطور رتبة شرف جديدة دعاها رتبة ماري كاترينا تعظيماً لاسم زوجته، وجعل لميلاد ابنته احتفالاً عظيماً وسنه عيداً بهجاً.

وفي سنة ١٧١٥ ولدت كاترينا ولداً آخر لم يعش إلا يسيراً وبعد نفاسها لحقت بزوجها الذي كان يتجول في بلاد أوروبا متفقداً أحوال السياسة إلى أن ولدت في سشورت في الرابع من كانون الثاني (جنايو) سنة ١٧١٧، ومرضت أثر ولادتها ولم يعش ولدها هذا سوى يوم واحد، فاضطرت أن تفارق الإمبراطور فسار إلى بلاد الفلمنك ولم تتبعه إلا بعد مدة حيث لحقت به في أمستردام ثم أنهما عادا إلى بطرسبرج بعد سياحة طويلة، فدخلت المدينة في ١٥ أبريل «نيسان» سنة ١٧١٩ وولدت ولداً آخر مات عقيب ولادته.

ولما انتشبت الحرب بين الروس والفرس وسار الإمبراطور بجيشه إلى القتال رافقته كاترينا وحاز الروس نصراً مبيناً وفي سنة ١٧٢٤ في ١٨ مايو «آيار» توجهها الإمبراطور في موسكو بحضور أشرف البلاد، وسماها إمبراطورة الروس وسار أمامها راجلاً يوم هذا الاحتفال تعظيماً لها، وكان بصفة يوزباشي علي فرقة جديدة دعاها فرقة شوالية الإمبراطورة ولما دخل الموكب الكنيسة وضع بطرس التاج الملوكي على رأسها، فأرادت أن تقبل ركبته فمنعها وعند خروجها من الكنيسة أمر بطرس بحمل صولجان الملك والكرة الملوكية أمامها وكان قد عهد إلى بعث إلى روساء مملكته بإعلام يخبرهم به بما حصل وهذا نصه:

«من الحضرة الإمبراطورية المتولية على جميع الدولة المسقوية إلخ إلى جميع الطوائف القسيسية والضباط الملكية والجهادية والأهالي الروسية من الرعايا الموصوفين بالأمانة».

لا يخفى على أحد منكم العادة التي ألفها ملوك الممالك النصرانية أن يتوجوا زوجاتهم، كما صدر ذلك مراراً عديدة في الأزمنة الخالية عن ملوك النصارى التابعين للديانة اليونانية الأصلية، كالقيصر بازيليد الذي توج زوجته زينوبيا والقيصر يوستينيانوس الذي توج زوجته لوبسينا والقيصر هركليوس الذي توج زوجته ماريا ومن المعلوم أننا طالما خاطرنا بأنفسنا، واقتحمنا الأهوال مدة الحرب الأخيرة التي دامت ٢٦ سنة متوالية وذلك لحفظ وطننا، وقد تمت هذه الحروب بعون الله تعالى والمنفعة وفازت دولتنا وختمت بعهدة صلح حازت بها الروسية فخراً لم ينله سواها، وبما أن الإمبراطورة كاترينا التي هي زوجتنا العزيزة جاءت بكل مساعدة وإعانة لإنقاذ الوطن من ريقة هذه الأخطار في الحروب المذكورة كما ساعدتنا أيضاً في حروب أخرى صبحتنا فيها بالطوع والاختيار بالرغم عما جبلت عليه النساء من الضعف، ونظراً لما بدأ منها في الواقعة التي حصلت بيننا وبين الدولة العثمانية على نهر البروث حيث اضمحلت حال جيوشنا، فقد أظهرت الإمبراطورة غيرة عظيمة وشجاعة لا مزيد عليها كما هو معلوم عند جيوشنا وأفراد دولتنا.

فبانظر إلى ذلك وبمقتضى التصرف الموهوب لنا من الله تعالى قد عزمنا على تشريفها بالتاج الإمبراطوري شكراً لصنيعها ومكافأة لها عما كابدته من المشاق ويتم ذلك إن شاء الله في أواخر فصل الشتاء من هذه السنة بمدينة موسكو.

وهذا إشعار منا في شأن هذا الأمر الذي عزمنا عليه لرعايانا المحبين أرباب الأمانة الذين لا تزال محبتنا الإمبراطورية لهم بدون نقص ولا تغيير.

وقد تبوأ كاترينا عرش مملكة روسيا في ٢٨ كانون الثاني «جنابو» سنة ١٧٢٥ يوم وفاة زوجها الإمبراطور بطرس الأكبر الذي أسلم روحه بين ذراعيها في الساعة الرابعة من الليل، وقد خطبت خطبة عظيمة بمحفل موته ذكرت فيها ملخص حياته، وذلك على مسمع أرباب شورى الحكومة والجنرالات والأعيان.

ثم ساست الملك بعد زوجها أحسن سياسية وأحدثت فيه أموراً كثيرة، وسنتت قوانين لا تزال مرعية حتى الآن، منها أنها أبطلت قتل القاتل واستحضرت من بلاد الفلمنك وغيرها نساء ماهرات فى الصنایع لأجل تعليم البنات المترهبات ووزعتهن على الأديان.

وماتت كاترينا سنة ١٧٢٧ ولها من العمر ٣٨ سنة تاركة تاج الملك بحسب وصيتها لبطرس الثانى حفيد زوجها وله من العمر ١٢ سنة تحت وكالة ابنتيها الملكتين حنة واليصابات.

(قال بعض المؤرخين)

كثيراً ما قرأنا فى التاريخ أن بنات غير شريفات الأصل اتصلن لأسباب معلومة أو غير معلومة لأن صرن أميرات أو ملكات، فلم يعد من سبب لأن تتعجب من حدوث هذا الأمر لكاترينا «مرتا» إنما العجيب أنها أخذت أسيرة عند قوم بينهم وبين قومها عداوة شديدة وحروب هائلة، وقد اتصلت مع ذلك إلى أن تسلطت عليهم وحكمت فيهم فكانت هى الأسيرة الحاكمة والرقيقة المالكة، وما ذلك إلا مما جمعت هذه الإمبراطورة من حسن الخصال وكريم الصفات والمزايا حتى أحبها جميع الروس وشهدوا لها بالفضل وقد تمكنت محبتها فى قلوبهم لما تأكدوه بإخلاصها وعدم مداخلتها فى أمر النكبة التى رزى بها الكسيس ابن بطرس الأكبر من زوجته الأولى أودكسيا تيودورة، ولم ينس المؤرخون فضل بطرس الأكبر الذى تزوج بكاترينا غير مبال بلوم اللائمين الذين يفضلون بعض الناس على بعض من حيث الشرف والأصل، بدعوى أن الأصيل الرفيع النسب مفضل على عامة الناس، وهذه إمبراطورة الروس كاترينا مع كونها من فئة دنية من الشعب بلغت من المجد أقصاه ومن العز أسماه، وامتلت بالفضل والمحامد على جميع البنات الشريفات، فإن العاقل لا يعتبر الرتب والألقاب بل ينظر إلى